هل للمعلم دور في مستقبل اللغة العربية؟

د. إمحمد علي أبو غنيمة
كلية الآداب –جامعة الزاوية

تقديم:

اللغة هي الأساس الذي يبنى عليه توحيد الأمة، ويعمق صلات بعضها ببعض، وهي رموز للاتصال بين أفراد البشر ونقل المعرفة، فلكل لغة عبقريتها وأسلوب تأثيرها، وقدرتها على الاستيعاب لمختلف المفاهيم، وانفصال اللغة عن طقوسها وجذورها إفساد لطبيعتها ووظيفتها، وهي أعلى الخصائص التي تفرد بها المجتمع الإنساني، وأهم عامل مساعد على إنشاء الحضارة الإنسانية باعتبارها السلوك الذي يحتاج إلي اتصال كلامي مستمر بين أفراد أي مجتمع من المجتمعات.

أبدا مقدمة البحث هذا بما بثه أبومنصور الثعالبي في تصدير كتابه" فقه اللغة وسر العربية" قال: " من أحب الله أحب رسوله محمدا . صلى الله عليه وسلم . ومن أحب الرسول أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية، التي نزل بها أفضل الكتب على أفضل العجم العرب، ومن أحب العربية عني بها وثابر عليها، وصرت همته إليها..."[1].

فللغة صفات تظل قائمة مادام أهلها محتفظون بعاداتهم في التفكير، وإذا تركها أهلها فإنها ستتعرض للفساد أولا، ثم للاندثار آخرا، وليس من الصحيح أن تعد اللغة كائنا مثاليا يتطور بصورة مستقلة عن البشر، فاللغة إذا أردنا الحفاظ عليها فلابد أن ينبع هذا الحفاظ من أهلها؛ لأنهم هم الذين يفكرون بها، ويتحادثون بها، ولتأصل جذورها في أعماقهم، فهي تستمد قوتها منهم لتورق وتزدهر على شفاههم.

ولعل تطور اللغة مظهر من مظاهر تطور الجماعة؛ لأنها ظاهرة اجتماعية تنشأ كما ينشأ غيرها من الظواهر الاجتماعية الأخرى[2]؛ لأنها ليست جامدة بل هي المستودع للأكبر والأمين للتراث الاجتماعي، وهي العامل المساعد لنشر التراث، ورمز وجود الأمة وبقدر أصالتها والمحافظة عليها، أو فقدانها تكون المجموعة البشرية أمة وشعبا أصيلا أو مجرد أشتات فحسب.

إن اللغة أو تلك الوسائل التي يعبر بها الإنسان عن أفكاره وأحاسيسه ومشاعره وعواطفه، واتجاهاته تمثل جزءا حيويا من كل نشاط يقوم به في حياته، إن اللغة هي أداة النشاط، ولولاها ما كانت حركة الإنسان الفكرية النامية، فاللغة تمثل . من غير شك . حجر الزاوية في حياتنا العامة والخاصة ... ونحن كذلك عندما نكتب خطابا أو نسجل فكرة، أو نوضح رأيا، أو نسجل ملاحظة أو نحو ذلك، وهكذا نجد أن اللغة في شكل من أشكالها تمثل جزءا أساسيا في حياة كل أفراد المجتمع، ولا يقتصر ذلك على فئة دون فئة، أو طبقة دون طبقة فاللغة هي الشرط الضروري

والكافي للدخول في حظيرة الإنسانية؛ لأنها لغز كبير حاول العلماء حله منذ آلف السنين، وأغلب الظن أنهم ما ظفروا من ذلك اللغز إلا بالقليل القليل حتى اليوم[3].

وقد أصبحت اللغة العربية إحدى اللغات الست المعتمدة في هيئة الأمم المتحدة والمنظمات الدولية التابعة لها بجهود من محبي اللغة العربية، وهي إحدى اللغات القابلة للتطور، حتى إن بعض الدراسات تؤكد أن لهذه اللغة مستقبلا يجعلها من أولى اللغات العالمية والأكثر انتشارا واستعمالا من أي لغات أخرى، وهي تفوق سائر اللغات رونقا وجمالا، وفي طليعة اللغات المعبرة بين لغات العالم الشرقية والغربية، إلا أنها تعاني كغيرها من اللغات الأخرى مشاكل عدة وصعوبات جمة، كانت ومازالت سببا في ضعفها، ونفورا أهلها من التعامل بها، واعتمادهم على بعض اللهجات المحشوة بالعديد من المفردات التي لا علاقة للعربية بها، سواء أكانت هذه المفردات محلية أم أجنبية، فاستعمال العامية والتوسع في استعمال اللغات الأجنبية على حساب العربية هما من الأسباب التي ستقصي هذه اللغة، وتبقي محفوظة في النص القرآني، وبطون كتب التراث، فواقع اللغة العربية يشبه بعض اللغات الأوروبية قبل أكثر من ألف وثلاث مئة ستة، حيث كانت اللغة الرسمية للدولة هي اللغة اللاتينية . اللغة المكتوبة . أما الشعب فيحكي لغة مشوهه تشوبها الكثير من المفردات الدخيلة عليها من اللهجات واللغات الأخرى، واللغة العربية غير مخدومة لا علميا ولا تربويا، وكأن طرق تدريس اللغة العربية لا علاقة لها بالعربية أصلا، فطرق تدريسها المعمول بها على الأقل في " ليبيا" قمة التخلف، . إذا كان التخلف يوصف بالقمة . حيث تمر مدارسنا وجامعاتنا بأزمة حقيقية نتج عنها نفور تلاميذنا وطلبتنا من تعلم لغتهم القومية، ونتج عن هذا النفور الضعف السائد في لغة هؤلاء التلاميذ والطلاب ولا أبالغ إن قلت المعلمين والأساتذة [4].

إن اللغة لا تكون لها قيمة ولا أهمية بمعزل عن أهلها، لأنها لا توجد خارج من يفكرون ويتحادثون بها، فجذور اللغة لا تعيش خارج ضمير الفرد، لاستمدادها قوتها منه، ولا تزدهر إلا

على شفاه أهلها المحبين لها، وبتضييعهم له يضيع إعرابها ويضيع القرآن الكريم؛ لأن القرآن الكريم لا يفهم إلا بهذه اللغة، فالعربية في تاريخها الطويل إنما عاشت بالقرآن وازدهرت به وهي الوسيلة الوحيدة لفهم كتاب الله، وصحة هذه اللغة محفوظة بهذا الأصل للتلازم بين اللغة العربية والقرآن الكريم[5].

وللغة العربية أهمية كبرى باعتبارها:

1- وسيلة من وسائل تلقي ونقل المعارف والتفاهم بين أفراد البشر الذي يطل من خلالها على العالم والمجتمع، كما أنها المرآة التي توضح للقارئ والكاتب الماضي والحاضر والمستقبل باعتبارها ناقلة لمحتويات كل تلك الأزمنة.

2- الوسيلة المهمة في تأكيد الارتباط الوجداني بين أفراد المجتمع العربي، وهي المكون للأفكار والتوجهات المشتركة فيما بين هؤلاء الأفراد.

3- من أهم الأدوات التي يمتلكها الفرد، ويمكنه بها أن يوجه الآخرين، ويؤثر فيهم من خلال المحادثة أو الكتابة؛ لأنها أداة التحصيل والتعليم التي تساعد اكتساب الخبرات والثقافات والمعارف وما يترتب على كل ذلك من حقائق وثوابت.

ومن خلال هذا التقديم سوف يقتصر نقاشنا للموضوع حول دور المعلم في نجاح تعلم اللغة العربية، والرقي بها إلى مستوى اللغات الأخرى؛ لأن المعلم هو العنصر الأهم في العملية التعليمية فهو المدير والمفتش، وواضع المنهج، وتركنا موضوع دور المنهج إلى وقت آخر إن شاء الله:

من هو المعلم؟

المعلم: هو من يتخذ مهنة التعليم، ومن له الحق في ممارسة إحدى المهن استقلالا، وكان هذا اللقب أرفع الدرجات في نظام الصناع كالنجارين والحدادين، وهو الملهم الصواب والخير،

وأصبحت اللفظة تطلق لفترة طويلة على من يتخذ مهنة التعليم، ويطلق هذا المصطلح على الإنسان الذي يعلم الآخرين، بغض النظر عن مهنته رغم ما يخص معلم المدرسة أكثر من غيره، ولا يعني التعلم نقل المعارف والمهارات والخبرات؛ بل التوجيه والتحفيز نحو القيام بعمل ما، وتربية المتعلمين واجب مقدس للمعلم؛ لذلك لابد من توافر مقومات كثيرة لبناء هذه العلاقة على أسس علمية صحيحة(6).

ولو وصفنا المعلمين الحقيقيين وعلى اختلاف تخصصاتهم وإمكاناتهم لوجدناهم مجموعة من الأشخاص الأذكياء الأكفاء المؤهلين، والمرخص لهم العمل في مهنة التدريس، ويحتاج هؤلاء المعلمون إلى مجموعة جديدة ومختلفة من القيم لبناء شخصيات تشعر بقيمتها، وتقدر نفسها التقدير اللائق بها، ويحتاج هؤلاء أيضا لبناء حضارة جديدة كاملة خاصة بهم، لا حضارة يعتبر فيها الناس المعلمين مجرد مجموعة من الأشخاص لا يكفون من الشكوى من أوضاعهم السيئة، وبخاصة أجورهم الضئيلة.

ومسألة إعداد المعلم وتأهيله علميا وتربويا تنبع من الإيمان بأن نجاح العملية التربوية يرتكز على المعلم بشكل أساسي، إضافة إلى اعتماده على الجوانب الأساسية الأخرى المكملة للعملية التربوية بعامة؛ لذلك لابد من إعداد برامج علمية مكتملة لتأهيل هذا المعلم في جميع المستويات التعليمية إعدادا متكاملا؛ ليكون قادرا على تحمل مسؤولياته في أداء رسالته، وسيتم التركيز على شخصية المعلم التواصلية المستمرة لما لها من مؤثرات إيجابية على المتعلمين، وقيام هذا المعلم بالأدوار التربوية والتعليمية المستمرة المنوطة به، حيث يتم فصل مصطنع بينهما، ويقتصر دوره على الجوانب المعرفية التي تتلخص بتزويد المتعلمين بالمعارف الجاهزة، ولكي يحقق المعلم أهدافه يحتاج إلي طرق وأساليب تتلاءم مع مستويات المعلمين وقدراتهم وترضي طموحاتهم وميولهم، فالتعلم بالاستكشاف والتعلم الذاتي من الأساليب التي تستهوي المتعلمين، كما أن معرفة

المعلم المتخصصة بطرائق التدريس، والتقنيات الحديثة والمتطورة، هي التي تجعله أكثر قبولا لدى المتعلمين.

إن أساليب التعلم هي سلوكيات معرفية أو انفعالية أو فسيولوجية يتصف بها لمتعلمون، وهي أيضا الطرق والإجراءات التي يتبعها المتعلم داتيا لاكتساب خبرات جديدة، إضافة إلى أن هذه الأساليب متشعبة، فهي خليط من عناصر معرفية وانفعالية وسلوكية، لذا تتنوع أساليب التعلم أيضا من أساليب التعلم الجماعي إلى أساليب التعلم الفردي، إلى أساليب التعلم في مجموعات صغيرة وهي تتنوع من أساليب التعليم المباشر إلى أساليب التعليم عن بعد، إلى أساليب التعلم بالحاسوب أو التقنية العلمية[7].

ضعف معلمي اللغة العربية علميا وتربويا:

أجمع أغلب المهتمين باللغة العربية والمتخصصين فيها على أن أغلب معلمي اللغة العربية، وفي مختلف المستويات التعليمية يعانون ضعفا واضحا في تخصصهم، ويمكن أن تكون أسباب الضعف هذا كثيرة ومتعددة، لعل من أهمها أن بعض الطلاب الذين يوجهون أو تعطى لهم فرصة الدراسة بقسم اللغة العربية من الحاصلين على المؤهلات التي تؤهلهم للدخول للجامعة هم من المتحصلين على معدلات متدنية، وهم من لم يحالفهم الحظ في الالتحاق بتخصصات أخرى، أو لم تسمح لهم معدلاتهم بالدراسة في مجال آخر، وأكثرهم لم يفتح له باب غير هذا الباب، أضف إلى ذلك قبول كل من فصل من بعض الأقسام الأخرى بما فيه الأقسام العلمية، فالطالب يفصل من كلية الزراعة ليقبل في قسم اللغة العربية، ليتحصل فيما على الماجستير في شعبة الدراسات الإسلامية إضافة إلى أن قلة نادرة يقبلون على دراسة اللغة العربية بحب ورغبة، وكما لا ننسى أن هذا الطالب الذي تخرج فيه فاشلا، كما أن اتخاذ القرارات الارتجالية التي لم تبن على دراسات

علمية كان له دور كبير في إفشال العملية التعليمية، ومن هذه القرارات إلغاء تعلم اللغات الأجنبية في المدارس والجامعات الليبية، هذا القرار جعل العديد من طلبة هذه الأقسام تحل مشاكلهم بحلول تلفيقية وذلك بضمهم لأقسام اللغة العربية ولم يبق على تخرجهم في أقسامهم إلا القليل، وما كان سببا كذلك في فشل معلم اللغة العربية أن كل من دخل كليات التربية وكليات إعداد المعلمين للدراسة تخرج فيها دون مراعاة للمعايير التي وضعت لاختياره معلما، حيث إن العديد منهم مصاب بالتأتأة والأفازيا "الحبسة" "وعيوب النطق" و"عسر الكتابة" وفي جميع المستويات.

ومن أسباب ضعف معلم اللغة العربية سلبية مدرسي المقررات الدراسية الأخرى، حيث من المفترض أن يبذلوا قصارى جهودهم من أجل الرفع من مستوى المتعلمين بالتعاون مع معلمي اللغة العربية فنلحظ عنهم التهاون في مساعدة معلمي اللغة العربية في الرفع من مستوى هؤلاء المتعلمين في هذا التخصص، وإن بعض هؤلاء المعلمين لا يكتفون بهذا الموقف السلبي بحجة أنها ليست من تخصصاتهم؛ بل يواجهون هذا الأمر المهم بنوع من الاستخفاف والسخرية أمام الطلاب، الأمر الذي ينتقل إلى بعضهم فيقل أداءه في لغته، ويكتفي منها القدر الذي يوصله لدرجة النجاح، كما أن للدولة الدور الكبير في عدم التزام معلمي المقررات الأخرى، وذلك بتوجيههم إلى عدم الالتزام بالقواعد اللغوية في التصحيح والكتابة[8].

ومن أسباب ضعف المعلمين بصفة عامة واللغة العربية بصفة خاصة استخدام اللهجة العامية في التدريس، حيث إن العامية هي وسيلة التواصل اليومي كثيرة الاستخدام في الحياة العامة بكل ما فيها من أوجه النشاط الإنساني علي الأفراد والجماعات، والعامية تحيط بالمعلم في الأسرة والمدرسة والبيئة الأخر، وهي لا تفارقه لا في الاستماع ولا في التحدث، ولا يملك المتعلم إلا أن يكتسب هذه اللهجة طوعا أو كرها.

إن ممارسة المتعلمين لهذه العامية بسبب الميل لها، فضلا على بعده عن مواقف التحدث بالفصحى وعدم إحاطته بها في المدرسة، كان سببا في ضعفها لدى هؤلاء المعلمين والمتعلمين؛ لأننا نلاحظ أن الدروس والتخاطب بين الطلاب والمناقشات بين الطلاب والأساتذة داخل جدران المدارس لا تتم إلا بالعامية؛ بل إن الاستعانة بها تمتد إلى المرحلة الجامعية، حيث تستخدم العامية في أغلب المحاضرات، ونادرا ما تستخدم إلا في بعض المواقف من جانب بعض المعلمين،وعلى الرغم من ذلك فإن هذا الاستخدام للفصحى يتخلله بعض الكلمات أو التراكيب العامية؛ فالعامية بصورتها هذه تمثل التحدي الأكبر للفصحى من جانب، وللمعلم والمتعلم من جانب آخر، وما يقلل هذا التحدي تلك العناصر المشتركة بين الفصحى والعامية، ومن الضرورة الاستعانة بهذا القدر المشترك لتقريب الفصحى من النشء، والتركيز على عجز اللهجة العامية عن التعبير المنظم والإقناع المنطقي، والاستدلال الفكري، مع يقيننا بأن نسبة عالية من مفردات العامية في ليبيا هي مفردات فصيحة، وهذا ما أكده العديد من الباحثين[9]، ومع ذلك التوافق في المفردات فإن هنا ك اختلافا بين العامية والفصحى في التراكيب كقضية التقديم والتأخير، والحذف والزيادة، ودمج الكلمات بعضها في بعض، ما أدى إلى ذوبان أكثر أحرفها، إضافة إلى التموجات الصوتية لكل عامية ولهجة في كل ما لا يمكن توضيحه بالكتابة، وحين يريد المعلم شرح نص أدبي أو تحليل علمي لا يمكن أن يتم ذلك إلا باستخدام الفصحى[10].

إن إحساس المتعلمين وشعورهم اتجاه اللغة العربية من الصعوبة في طبيعتها، والتقليدية في تدريسها يحتاج إلى بذل الجهود الجبارة، وذلك لإجراء التجارب وعمل البحوث التطبيقية؛ لكي يقترب المعلم . وعلى جميع المستويات ابتداء من المرحلة الابتدائية مرورا بالمرحلة الإعدادية والثانوية وحي الجامعية. من اللغة ومن البداية، أن يزرع في داخلهم الإحساس بوظيفة اللغة الاجتماعية، التي تعد الوسيلة الوحيدة للتعبير عن حاجاتهم ومطالبهم، لكي يتمكنوا بهذه اللغة من

الاتصال الناجح مع غيرهم من أنباء مجتمعهم، فعملية اللغة تتطلب الأخذ والعطاء، أي التلقي الخارجي والتلقي الذاتي، فالفكر جهاز تلق واستيعاب وتحليل وتسجيل لكل المعلومات عن طريق قنوات داخلية تحتفظ بملايين الصور والانطباعات.

خصائص المعلم الناجح:

من الممكن أن يكون كل من تخرج من الجامعة معلما، وفي بعض الأحيان يستطيع حتى من لم يتخرج من الجامعة أن يكون معلما، لكن لا يستطيع كل من يقف أما عدد من الطلاب في القاعة أو الفصل أن يكون معلما ناجحا، أو يوصف بكونه معلما ناجحا.

إن نجاح المعلم يعتمد اعتمادا كليا على العديد من الخصائص المميزة لهذه الشخصية، وهذه الخصائص لا توجد في كل هؤلاء، إنها توجد في قلة منهم، بعضهم تولد معه الخصائص، ويكتسبون بعضها الآخر من خلال المران والتدريب، وما يبذله من جهد لتنميتها خلال مراحل تكوينه، وتعرف هذه الخصائص والميزات بأنها مجموعة المعارف والمهارات والإجراءات والاتجاهات التي يحتاجها المعلم للقيام بعمله على أكمل وجه، وبأقل قدر من الكلفة والجهد، التي لا يستطيع من دونها أن يؤدي واجبه بالشكل المطلوب، ومن ثم ينبغي أن يعد توافرها شرطا لإجازته في العمل؛ لأن مهنة التعليم تحتاج إلى دراية مبنية على الفطرة والتدريب، وأصعب ما فيها المواجهة، فمواجهة المعلم للطلبة داخل القاعة أو حجرة الدرس ليس بالأمر السهل، ويجب التذكير هنا أن اختيار طريقة التدريس المناسبة تقع على عاتق المعلمين، فهم الذين يحددون الكيفية والأسلوب الذي يدرسون مادته بواسطته، ومعرفة المعلم الواسعة بطرائق التدريس واستراتيجيات التعليم المتنوعة، وقدرته على استخدامها تساعد وبلا شك في معرفة الظروف التدريسية المناسبة

للتطبيق؛ بحيث تصبح عملية التعلم شيقة وممتعة للمتعلمين، ومناسبة لقدراتهم، وثيقة الصلة بحياتهم ليومية، احتياجاتهم وميولهم ورغباتهم وتطلعاتهم المستقبلية[11].

ويمكن تصنيف هذه الخصائص إلي خصائص مرتبطة بشخصية المعلم الكفء وإلي خصائص مرتبطة بالمهنة أو التخصص:

الخصائص المرتبطة بشخصية المعلم:

1- المظهر العام من حيث الالتزام بالنظافة الصحية والبدنية، خاليا من الأمراض والعاهات المزمنة والأمراض المعدية، وضعف السمع والبصر، متبعا للقواعد والعادات الصحية السليمة داخل المدرسة وخارجها، والالتزام بارتداء الملابس التي تناسب مهنة التعليم، ليكون نموذجا مثاليا للنجاح، فكثيرا ما نشاهد ملاحظات على أبواب للمطاعم الراقية: " يرجي ارتداء الملابس اللائقة" و" يرجي التصرف بلياقة" هذه الأشياء تطلب عند الدخول للمطاعم فما بالك في المدارس والكليات، حيث نلاحظ المناظر المشينة التي تشمئز منه النفس من قبل المعلمين والأساتذة مقل اللباس غير اللائق، والتدخين وشرب الشاي أو القهوة في الممرات وأمام الطلاب، وبعضهم يأتي للمدرسة وكأنه انتهى للتو من إصلاح سيارته، أو كأنها انتهت من تنظيف منزلها، أو من حلب بقرتها وإفطار حيواناتها، وغيرها من السلوكيات التي لا تليق بهؤلاء الأشخاص ومكانتهم.

إن من أهم أغراض وجود المعلم أو الأستاذ هو تعليم الطلاب اللياقة السائدة في المجتمع من الكبار الذين يمثلون النماذج المفترض أن يقتدوا بها،ويقلدوها، فحسن السلوك والتصرف والملبس هو ما يتعلمه منك تلاميذك وطلابك، باعتبار أنك النموذج المثالي للياقة، فالمعلمون يعدون الصورة المثلي لتلاميذهم، داخل الصفوف والقاعات، فعليهم الانتباه للسلوكيات التي يقومون بها؛ لأن

مهنتهم تغلب عليها الصبغة الفنية، ولهذا يطلق عليه " فن التدريس" ومع غلبة الفنية عليه؛ فإنه كغيره من الفنون الأخرى يرتبط ببعض العلوم الأخرى بصلات وثيقة وينطلق منها كعلم النفس وعلم أصول التربية.

2- الصوت: من حيث قوته ووضوحه والطلاقة اللغوية، وخلوه من عيوب النطق كالفأفأة والتأتأة وعيوب مخارج الحروف، وجودة الأداء.

3- الاتزان الانفعالي: ويشمل الهدوء والقدرة على ضبط النفس والثقة فيها، والتواضع والشجاعة والجرأة في الحديث، والقدرة علي التأثير في الآخرين، والتعاون معهم، وتوجيه سلوكه مع زملائه وطلبته، واحترامه لقيم العمل والنظام، والإيمان بالله، وحب الوطن، وحب لمهنة التي يعمل فيها، وتطبيق القواعد والقوانين، والالتزام والمواظبة والصبر وبشاشة الوجه، وقوة الملاحظة، وسرعة الخطر وحضور البديهة، والقدرة على القيادة، وحسن التصرف، ومراعاة قدرات طلابه المختلفة وفروقهم الفردية.

الخصائص المرتبطة بالمهنة أو التخصص:

لكي يكون المعلم ناجحا لابد أن يكون على دراية بكل جديد في مجال تخصصه، متعمقا فيه، مكثرا للقراءة والاطلاع على الكتب والمجلات وحضور الندوات والمؤتمرات العلمية، لديه الرغبة في حب الاطلاع والاستماع إلى الإذاعة، وعلى وعي بما يدور حوله من أحداث محلية أو دولية، عارفا بالثقافة السائدة في مجتمعه، مطلعا على أوضاعه السياسية والاقتصادية والتاريخية، والاجتماعية، منتميا إلي وطنه عارفا مشكلاته، مشاركا في حلها كلما سنحت الفرصة من وضع الخطة للتعامل مع تلك المشاكل، متمسكا بأخلاقيات مهنته التي ينتمي إليها، والسعي الدؤوب من

أجل تطويرها[12]، وتحسين الأداء، وذلك بالاستعانة بالمكونات الأساسية لطرائق البحث العلمي في أساليب وأنماط الأداء، والخروج بنتائج تصب في مصلحة الطالب والمعلم معا.

بالإضافة إلى الأساسات التي ينبغي توافرها في المعلم بصفة عامة التي تم ذكرها، فإن هناك كفايات ومهارات أخرى ضرورية لمعلم اللغة العربية يجب أت يتصف بها:

ممارسة اللغة العربية ممارسة جيدة:

في الواقع لا نجد من يمارس اللغة العربية من معلمين وأساتذة إلا نادرا، وعندما نقول الممارسة لا نطلب منه لغة قس بن ساعدة أو الأصمعي أو المتنبي؛ ولا " لغة أستاذ ممنوع" بل نريد منه لغة واضحة ميسرة خالية من الركاكة ولغة السوقة مثل: فوته، وفته برابعة، واطلع من راسي، وفي بعض الأحيان إذا كان يعرف كلمة أو كلمتين في الإنجليزية تجده يستعملها بكثرة حتى يحسس الآخرين بأنه يعرف لغة أخرى، وفي إحدى الحصص سجل لمعلم اللغة العربية تكراره لكلمة (شنه) أكثر من سبعين مرة في حصة واحدة، هل ترون من خلال هذا العدد أنه ذكر كلمة غيرها؟ لا أعتقد ذلك.

المعرفة الجيدة بتاريخ الأمة العربية وحب الانتماء لها:

حتى لا أتهم بالتشاؤم أتحدث على نقاط ضعف المعلم فإني أحاول أن استدل بمواقف واقعية لبعض معلمي وأساتذة الجامعة وما يعانونه في هذا الجانب من ضعف في معرفة بعض الوقائع التاريخية، وهذا الموقف يؤكد ذلك في جلسة بين أساتذة في قسم ... تناول الحديث عن الشيخ " الطاهر الزاوي" وجهوده العلمية وبعض مؤلفاته، وما أدراك ما الطاهر الزاوي فالتفت إليه أحد الأساتذة الجالسين معه وضحك وقال: معقول الطاهر الزاوي التاكسي الكذاب صاحب رئيس أمريكي عنده مؤلفات وجهود علمية ؟؟ وأضيف موقفا آخر: " أن معلمة تقول لتلميذ وهي تتحدث

عن فرعون: قل سيدنا فرعون عليه السلام" هذه المواقف وغيرها كثير، يؤكد لنا أن هؤلاء لم يقرؤوا لا تاريخ ولا سيرة، ولا نقصد التعميم؛ لأننا نجد في الجانب الآخر العديد من المعلمين والأساتذة تحس من خلال التعامل معهم ومناقشتهم بمعرفتهم الجيدة في تخصصاتهم، وحبها لها وانتماءهم للغة العربية وعلومها وتاريخها.

التتبع المستمر للتطورات في ميدان تعليم اللغات:

تخلف المجتمعات الإنسانية من بيئة لأخرى، في حياتها اليومية من أكل وشرب وملبس ونوم وغيره، ومع ذلك تتفق في الأسس والمعايير التي بها تحاول بناء أفرادها بطريقة سليمة راقية، والمعلم هو أحد أفراد المجتمع الذين لهم الحق في توفير الإمكانات التي تؤهلهم لمعرفة بعض اللغات . وإن حرم أغلبهم من تعلمها . كما أن عليه محاولة الاطلاع كل جديد حول التربية والتعليم، ومعرفة الطرق والوسائل التي تطور أساليب التدريس وطرقها، ومعرفة المدرسة التحويلية والمدرسة التركيبية والمدرسة الاتصالية، والاطلاع على أحث البحوث والدراسات التربوية حول التعليم والتعلم، وبخاصة علم النفس التربوي العام والتعليمي، ولا ننسى دور المعلم في تتبع هذه التطورات ولو على المستوى الشخصي، وهذا لا يتم إلا بمعرفة لغات أخرى تمكنه من الاطلاع على كل جديد في هذا المجال[13].

تطوير وتأهيل معلمي اللغة العربية:

التأهيل برنامج منظم يقوم بتدريب المعلمين الذين تم استخدامهم حديثا، وذلك قبل بداية العام الدراسي، وتقوم المدارس والمناطق التعليمية والجامعات الناجحة بتعليم معلميهم كيف يكونون معلمين ناجحين من خلال الدورات التأهيلية، فالتأهيل يعد أفضل السبل والوسائل لإشعار المعلم بتقدير الجهة التابع لها، ورغبتها الصادقة في تحقيق النجاح، والاستمرار في العمل؛ لأن عدم

تدريب وتأهيل الكوادر العاملة مع استمرارهم في العمل أسوأ من القيام بتدريبهم وتأهيلهم تم تركهم العمل وعدم استمراره فيه، ونرى أن يكو التأهيل للمعلمين مستمرا، ولا يقف عند حد أو زمن معين، فالنظريات التربوية متجددة والبحث فيها لا يقف عند مستوى معين، وعلى المعلم ألا يحس بنقص عندما يختار لدورة تدريبية، بل اختياره مبني على أنه أهل لأن يتقبل التدريب والتأهيل، ويتحصل على نتائج ترفع من مستواه التعليمي والتربوي، ولعل متابعتنا لبعض الأساتذة في جوانب متعددة لا حظنا الضعف الواضح على هؤلاء الأساتذة في عدم معرفتهم بأوضاع طلبتهم من حيث المستويات العلمية، وعدم وضعهم الأسئلة بالطريقة التي تتماشي مع المنهج، ووضع الطالب، وعدم التنوع فيها، كما أن هناك العديد منهم عندما يدخل القاعة لا يستعمل أي وسيلة تشد انتباه الطالب، حتى أن السبورة في بعض الأحيان تجد عليها كتابات بعض مقررات السنة السابقة، ونحن نعرف أن هناك بعض المقررات لا بد لها من السبورة كالنحو والصرف في اللغة العربية، ويأتي أستاذها ليجلس على الكرسي ويقرأ للطلاب من الكتاب، وبحسب خبرتي المتواضعة فإنني أرى أنه لا يمكن لأي أستاذ أو معلم وفي أي تخصص أن يدرس من دون سبورة وهذا الحد الأدنى من الوسائل التعليمية.

ونخلص إلي أن تأهيل الأستاذ والمعلم يجب أن يستمر معه طول الوقت، ولا يقف عند سن أو درجة علمية معينة، ولو أن المعلم استثمر 10% من وقته وقدراته وبدعم من الجهات الحكومية لتطوير حياته المهنية والعلمية؛ فإنه سيتقدم على زملائه ويصبح معلما متخصصا كفؤا خلال ثلاث إلي خمس سنوات؛ لأن التأهيل والتدريب هو سر النجاح في العملية التعليمية، ولا أظن أن ذلك يتم من دون رغبة المعلم في تحقيق ذلك.

وقد قدمنا أكثر من مرة اقتراحات للجامعة بشأن إقامة دورات تدريبية وتأهيلية لفترات طويلة لأغلب أساتذة الجامعة على أن يفرغوا طيلة مدة الدورة، وعلى الرغم من تجارب أغلب أعضاء مجلس الجامعة فإننا لم نر شيئا في الجانب العملي حتى الآن.

معايير الجودة في أداء معلم اللغة العربية:

إن النظم التعليمية تقاس فاعليتها بقدرتها على اكتساب المتعلمين المهارات والقدرات التي تمكنهم من الإسهام في تحقيق نهضة أمتهم، وإعداد الفرد إعدادا جيدا إنتاج المعرفة والإبداع التكنولوجي، من خلال هذا يظهر الدور الكبير في الارتقاء الدائم بمستوى أداء المعلمين، الذي يمثل الهدف الأمثل لبناء أنظمة تعليمية جادة وهادفة، ولعل أغلب الدراسات الحديثة في مجال التربية تؤكد أن مقاييس الأداء للممارسة المهنية في مجال التعليم تنطلق في مجملها من الرؤى الواضحة لمسؤوليات المعلمين كممارسين لمهن تربوية من خلال المجالات التالية:

مسؤولية المعلم عن تلاميذه وعن تعلمهم:

إن المعلم بصفة عامة تفرض عليه مهنته وحبه لها بذل كل جهوده بنية صادقة؛ لتيسير حصول جميع طلبته بمختلف إمكاناتهم العلمية على المعرفة والتعلم، ومن ثم توجيه ممارسته وتعديلها في ضوء ميول الطلبة، وقدراتهم ومهاراتهم وخلفياتهم استنادا إلى خبرته التربوية في تتبع نمو أفكار الطلبة العقلية، وكيفية قبولهم للعملية التعليمية، فالمعلم شاعر حساس، لاستخدامه لغة سحرية رائعة في صياغة الموضوعات المقررة، وهذا مايجعله مثيرا وجذابا، إنه يخلق مدى واسعا وكبيرا من حب الاستطلاع لكشف الأسرار وإثارة الخيال، وإيجاد العلاقات التي تربط بين الأشياء؛ لكي تبدأ عملية التعلم بالدوران.

معرفة المعلم للموضوعات والمقررات الدراسية:

المعلم الناجح لا بد أن يتمتع بفهم خصب للموضوعات التي يقوم بتدريسها ومصادرها المتنوعة، كما أن عليه أن يحاول معرفة قدر ما يمتلكه الطالب من معارف ومدركات ومفاهيم سابقة، وباستطاعته ابتكار مسارات معرفية متنوعة ومتعددة، تتناسب واختلاف قدراتهم، ويسعى لتدريبهم وتعليمهم كيفية تحديد وعرض مشكلاتهم وطرحها والبحث لإيجاد حلول ناجعة لكل تلك المشاكل.

مسؤوليات المعلم عن إدارة تعلم طلبته:

المعلم المهني والمعد الإعداد المناسب مسؤول عن ابتكار أوضاع تعليمية تراعي ميول الطلبة واحتياجاتهم، مع إتقانه لأساليب وطرق تجعله يوصف معارفه ومهاراته التوظيف الفعال في الوقت المناسب؛ لشد اهتمام الطلاب واستثارتهم ومعرفة مدى استعدادهم لقبول التعلم، ودمجهم فرادى وجماعات في أنشطة وخبرات تعليمية متجددة، ولا يخلو الحال من استخدامه طرق وأساليب عديدة ومتنوعة لمعرفة ما وصل إليه الطلاب من تعلم، وقياس نموهم العقلي، وشرح وتفسير أداء الطالب لذويه، كما أنه يجب أن يكون هذا المعلم ودودا ومحبا ومهتما بتلاميذه أو طلبته ورقيق المشاعر معهم؛ لكي يكون النموذج العاقل الذي يتطلعون إليه بإعجاب وفخر.

القدرة على التفكير بطريقة منظمة في ممارساته التعليمية والمهنية:

المعلم المهني المعد والمتخصص يملك من الرغبة والقدرة على معرفة وفحص ممارساته بطريقة ذاتية، ويسعى لاستشارة الآخرين، وقبول نصحهم، والاستفادة من نتائج البحث العلمي والتربوي؛ لزيادة معرفته وتمكين خبرته، وتطوير ممارسته للعملية التعليمية بما يتلاءم مع ما يستجد

من نظريات وأفكار تربوية وسيكولوجية، وما يطرأ من اكتشافات علمية وتكنولوجية تخدم العملية التربوية.

الانخراط بشكل عضوي فعال في مجتمعات التعلم:

حتى يكون المعلم المهني ناجحا في عمله لا بد أن يمارسه على نحو تعاوني مع أولياء أمور الطلبة، ويشركهم في العمل المدرسي؛ لاستثمار إمكانات المدرسة والمجتمع المحلي، ومصادره المختلفة في إثراء العملية التعليمية؛ لأن الأساس فيها الاشتراك والتعاون في العمل بين كل أطرافها الطلاب وأولياء الأمور والمعلمين[14].

ولكي ينجح المعلم في بناء العملية:

- أن يعمل بطاقته العقلية والفنية كاملة اعتمادا على ثقته بنفسه النابعة من معرفته وسيطرته على المادة التي يعلمها.
- أن يتوفر لديه الإخلاص في العمل والحماس لإنجازه، وشعوره بالمسؤولية.
- أن يركز على الجوانب المعرفية والعقلية والجوانب الانفعالية والعاطفية والاجتماعية والنفسية إضافة إلي الجوانب الحركية والمهارات والميول، كل هذه الجوانب يتوجب على المعلم الاهتمام بها في كل المقررات الدراسية التي يقوم بتدريسها[15].
- على المجتمع أن يوفر له الدعم والمساعدة الفنية من قبيل تزويده بالنشرات الدورية التربوية وأدلة المعلمين، وبالنصائح العملية والتوجيه المخلص.
- على المجتمع أن يشعر المعلم بالأمن الوظيفي، وعدم التهديد وتصيد الأخطاء من الآخرين وبناء مواقف عليها.

وعلى هذا الأساس صناعة المعلم تتمثل في إعداده عن طريق إلمامه إلماما كافيا بمادته؛ إذ أن فاقد الشيء لا يعطيه، أو كما قال إفلاطون: " المعلم لا يستطيع أن يعلم تلاميذه ما لا يعرف" وعلى هذا فإعداد مدرس اللغة العربية يبقى ناقصا ما لم يكن ملما بأنظمة العربية الصوتية والصرفية والنحوية، وأن يكون له تصور شمولي لطرائق العربية في الدلالة على المعاني الصوتية والصرفية والمعجمية؛ لأن هذه هي المعاني الأساسية التي تنقلها اللغة، فإن لم يكن المعلم نفسه ملما بها فكيف يتوقع منه أن يعين طلابه على إكسابهم اللغة الناقلة لتلك المعاني؟[16] كما يتمثل ذلك في تجريد نفسه وتنميتها عن طريق الاطلاع ومداومة القراءة، والتزود من العلم والمعرفة، والوقوف على المؤلفات الحديث بما تضمنه من آراء مبتكرة، وبالتالي مسايرة تيارات التطور الثقافي، وبخاصة فيما يتعلق بالمادة التعليمية التي يدرسها، كما يتجلى ذلك في دراسة علم النفس التربوي ونظرياته وأساسيات أصول التربية، وقواعد طرائق التدريس[17].

وسنختم ذلك بنتائج هذه بعض منها:

- إن جمال اللغة أسهل إدراكا من جمال العلوم الأخرى؛ لأن اللغة تدرك من خلال تعلم الأشياء البسيطة، فلا يستدعي تعلمها جهودا كبيرة ولا مؤهلات عالية.
- إن تطور اللغة العربية والرقي بها يسهم في إنقاذها من الحفرة التي يراد لها أن تسقط فيها، فالعربية لغة غنية كاملة مكتملة قوية تستطيع أن تواجه كل المشاكل التي تعرضها بجهد أهلها الحريصين عليها، وإن المشاكل التي تنسب لها هي مشاكلنا نحن، وليست مشاكلها هي، فضعفها نحن سببه؛ فهي ليست ضعيفة ولا قاصرة بل هي لغة أدب وعلم وثقافة وفن وصناعة مفرداتها كفيلة بأن تغطي كل الاحتياجات.
- إنه لا لغة من دون إدراك وعلم، ولا إدراك ولا علم من دون لغة، وهي وضع واستعمال، وليست وضعا فقط.

- إن مستويات اللغة تختلف من حال إلي حال فمستوى للباحث المتخصص هدفه التأسيس والتأصيل والاستنباط، ومستوى للمعلم المربي الذي يجب أن يكون كتابه غير كتاب التلميذ، ومستوى ثالث يخص الاكتساب والتعلم، ويبقى هذا المستوى في حدود اهتمامات المتعلم وحاجاته اللغوية.
- إن الوعي بالانتماء، والتمسك بالهوية، والحفاظ على لغتنا الجميلة بفصاحتها، وبقواعدها صحيحة من غير تهجير أو تقعير، أو انجرار إلى العامية، هو شرط ضروري للحفاظ على تلك الخصوصية والهوية القومية لثقافتنا وأمتنا.

وأخيرا أدعو:

- للتكامل والترابط بين فروع اللغة عند تعليمها، أي: أنه ليس هناك قواعد وحده، ولا أدب وحده، ولا قراءة منفصلة، وإنما تترابط هذه الفروع وتتكامل، وتعلم كوحدة واحدة فالقاعدة النحوية حين تعرض في موقف لغوي طبيعي تؤدي إلى سرعة التعلم؛ لأنها ترد في نص قرائي متكامل يرتبط بعضه ببعض إذ اختل منه جزء يتهاوى ويسقط بلا معنى.
- للاطلاع لكل الدراسات التربوية والعلمية الحديثة التي أثبتت العلاقة الوثيقة بين الكفاءة في الاستماع والكفاءة في تعلم القراءة، فالاستعداد القرائي يتطلب مهارات الاستماع والحديث؛ لأن منهج اللغة العربية يكون أكثر فاعلية إذا تناول فنون اللغة كلها على أنها وسيلة أساسية لغاية مهمة هي الاتصال.
- لمعرفة الترابط الوثيق بين مهارات اللغة الذي يظهر من خلال تعلمها، فليس هناك استماع بمفرده، ولا قراءة ولا كتابة تعمل منعزلة عن الفن الآخر للغة، فأي برنامج لغوي لا بد أن ينظر إليه بنظرة متوازنة مع تلك المهارات، ولا يقوي مهارة على حساب مهارة أخرى، بل يوجه عنايته إلى كل تلك المهارات بشكل متكامل ومتوازن.

- لمحاولة الربط المعرفي الذي يتطلب ربط منهج اللغة العربية بمناهج المواد الأخرى؛ لتكوين نوع من الانسجام . المفقود حاليا . بين نوع المفردات وكميات التراكيب المقدمة في كتب اللغة وكتب المقررات الأخرى ونوعها، فاللغة هي الوسيلة الأساسية في تحصيل العلوم، والسيطرة عليها بجميع أنواعها مادامت منتجة بتلك اللغة، وإذا لم تنم القدرات اللغوية للمتعلم نموا طبيعيا؛ فإن قدرته اللغوية على تحصيل المواد المقدمة له سوف تضعف سنة بعد سنة، وهذا ما نلاحظه على طلبتنا، حيث نلاحظ أنهم في المرحلة الابتدائية يكتبون كتابة جيدة إلى حد أنهم يضبطون الكلمات بالحركة، وكلما تقدموا في الدراسة ازدادت كتاباتهم وقراءاتهم سوءا.
- لتدريس اللغة العربية وفق المدخل الوظيفي لكي تنمي في المتعلم دوافع التعلم، وتجعله مقبلا ومهتما باللغة، ما يدفعه إلى الاهتمام بتنمية مهاراته اللغوية المختلفة، بحيث يتم تعويده على كيفية إدارة اجتماع أو المشاركة فيه، وكيفية إلقاء الكلمات والخطب في مواقف رسمية، وغير رسمية، إلى جانب التكمن من كتابة البرقيات والرسائل وملء الاستمارات وإعداد القوائم إلى غير ذلك من مجالات التعبير الوظيفي بنوعيه الشفهي والتحريري، والاهتمام بتنمية مهارات الإبداع والاستماع لدى متعلمي هذه اللغة في مواقف طبيعية ومتنوعة، وتنمية مهارات القراءة الصامتة؛ لأنها الأكثر شيوعا في مواقف القراءة اليومية.
- لتعليم اللغة العربية وفق الاتجاهات الجديدة التي تسهم في إطلاق السلوك الإبداعي لدى المتعلمين، وتشجع على حرية التعبير، وتقلل من التركيز على الحفظ . وإن كان عهد الحفظ انتهى مع انتهاء أهله.
- وتصبح المعلومات قاعدة للفهم والتحليل والتطبيق، ويسهم ذلك في تنمية الفكر عن طريق الاهتمام بالتعبير الشفوي الحر والموجه، واحترام أفكار المتعلمين،وتشجيعهم على التساؤل، وإبداء الرأي والاهتمام بأساليب التعلم الذاتي المستمر[18].

- المربين والمشرفين على توجيه الحركة التربوية والعلمية للتفكير جديا في الخروج عن الإطار التقليدي. حيث يلزم ذلك . وفي ابتداع طرق وأساليب جديدة متأسين بالتجربة العالمية، ومستجيبين قبل هذا لمطالب مجتمعهم ومشكلات بيئاتهم الخاصة، وهو مدعوون إلى مثل هذا التفكير المبدع اليوم قبل الغد؛ لأن مشكلات التعليم لا تمهل، فمن حق بلادهم عليهم ألا يجعلوا المشكلات تتعاظم ويصعب رتقها، وأن يبدأ بمعالجة نظام التعليم اليوم على ضوء مشكلاته وصورته في الغد.
- لتوظيف اللغة العربية في كل مناحي الحياة العلمية، والمؤسسات الإدارية والتربوية والإعلامية، ووضع حوافز للطلاب في مختلف المراحل العليمية؛ لتشجيعهم على استعمال اللغة العربية من مراحل التعليم الأولية إلى مراحل التعليم العالي.
- لبذل الجهود من أجل تقويم أساليب تعليم اللغة العربية باستغلال كل الوسائل التقنية الحديثة والوسائل السمعية والبصرية، وإقامة الدورات التأهيلية والندوات لمعلمي اللغة العربية، واطلاعهم على أفضل طرق التدريس وتدريبهم على استخدامها في إيصال المعلومات إلى الطلاب.
- لتحسين أجور المعلمين والاهتمام بهم، ورفعهم من الحضيض الذي وضعهم فيه المجتمع، ولا ننسى دورهم في إسقاط أنفسهم إلى هذا الحد.

وحسبنا أن نقول موجزين: إن شعار الأساليب التربوية الحديثة اليوم هو الشعار الذي سرى في شتى ميادين الحياة المحاصرة، نعني شعار الاستخدام الأمثل للإمكانات المتاحة للوصول إلى أفضل مردود بأقل المواد الممكن، وألا نأخذ بالقوالب الجامدة، وألا نضع التعليم في حذاء صيني يضيق عليه ويكاد يخنقه، والتفكير في مثل هذه الأساليب الجديدة قدر مفروض علينا.

الهوامش:

1. فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي، ص: 121.
2. اللغة العربية كائن حي، جرجي زيدان، ص:12.
3. تدريس اللغة العربية بالمرحلة الابتدائية وتطبيقاته، محمد صلاح الدين، ص:201.
4. أساسيات تعليم اللغة العربية والتربية الدينية، فتحي علي يونس وآخرون، ص: 5.
5. بحوث في اللغة والفكر، إبراهيم عبدالله إبراهيم، ص:144.
6. التعلم والتعليم جان عبدالله توما، ص:14.
7. المرجع السابق، ص: 30.
8. المرجع في تدريس اللغة العربية، علي سامي الحلاق، ص: 50،49.
9. اللهجات العربية بحوث ودراسات، ص:509.
10. المرجع في تدريس اللغة العربية، علي سامي الحلاق، ص:51.
11. طرائق التدريس واستراتجياته، محمد محمود إنحيلة، ص:22،21.
12. إعداد المعلم تنميته وتدريبه، عبد السميع مصطفى، سهير محمد، ص: 94،93.
13. المرجع في تدريس اللغة العربية، علي سامي الحلاق، ص:98.
14. المرجع السابق، ص: 108،107.
15. طرائق التدريس واستراتجياته، محمد محمود إنحيلة، ص:63.
16. مؤتمر اللغة الغربية أمام تحديات العولمة، الدورة الأولى، 1423 هـ 2002، ص:113.
17. طرائق التدريس واستراتجياته، محمد محمود إنحيلة، ص:98.
18. الاتجاهات التربوية المعاصرة في تدريس اللغة العربية، محمد رجب فضل الله، ص:23، 24.